بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

يتحمل جيلنا في هذا العصر هموما تعتصره وإحباطا يكاد يذهب عقله فالأمة المسلمة في قاع التخلف تتخبط ومن ذل الحاجة تهلث ومن عار التبعية تصرخ.

ومن العجيب ألا يكون سبب ذلك نقص الإمكانيات والموارد وإنما يعتريها الوهن ويستبد بها اليأس رغم أن المخرج من ذلك قريب قريب .

ولقد عرف عدونا كيف يضربنا في مقتل . فمن المعلوم أن النمو الاقتصادي لا يمكن أن يقوم اليوم على أساس سوق صغير في دولة صغيرة أمام دولة ذات حجم وسوق كبير تتحقق فيه وفرة الإنتاج وإمكانيات التكنولوجيا وهذا مما دفع أوروبا إلى أن تتوحد رغم ما بينها من تارات وحروب رغم تباين أنظمتها السياسية من ملكية إلى جمهورية ولكنها أدركت أن الأمر مسألة حياة أو موت فعبرت هذه الحواجز حتى وصلت في وحدتها إلى العملة الموحدة ومن ثم وقفت قوية في سوق المنافسة العالمية لا تعوذها حاجة ولا يستغلها أحد . وعدو الأمة فهم من مدة هذه الحقيقة فكرس الفرقة وقسم الأمة وبث سموم التفرقة بين جنباتها . فرغم أن شعار السوق المشتركة رفعته الجامعة العربية قبل أوروبا فإننا مازالنا لم نخطوا حتى الخطوات الأولى ومن المعلوم [أن مشروع نهضة الأمة في بدايته يكون شاقًا ويحتاج إلى تضحيات وهو بذلك لا يوفر المناخ لأن يصبح المشروع جزءًا من كينونة الإنسان المسلم وكيف يكون ذلك وقد غمرتنا أعراف ومؤسسات وقوانين الدول الغربية التي ليست في حاجة إلى مزيد من النمو بقدر ما هي بحاجة إلى مزيد من العدل ومن هذه الخلفية تشدني بقوة هذه الدراسة التي قام بها أخي الأستاذ الدكتور/ حسن داود فقد شخص المشكلة بمهارة فائقة ووصف العلاج الشافي على أساس هذا التشخيص.

فقد تناول أهم أجزاء التنمية وهي الاكتفاء الغذائي ففصل في بيان الفجوة الغذائية في الأمة الإسلامية وبسط أمام القارئ الإمكانات المهولة في الدولة المسلمة من السودان

إلى بنجلاديش ورءوس الأموال حيث لا تتوفر الأرض بحسب بل تتوفر الأموال التي يمكنها أن تعمر هذه الأراضي وتكفي العالم الإسلامي وتفيض عنه ولكنها تتبخر في الغرب ولا مردود لها على أمتنا وكان الأساس الآخر المهم الذي تناوله المؤلف في كتابه وهو الروح الدافعة لقيام المشروع نابعة من شرائعه وأعرافه وأشواقه غير ملوثة بالمسطور من القوانين والأفكار والأعراف.

وهذا الأساس عالجه بحكمة بالغة في طرح الآثار المدمرة باستخدام القرض والربا في التمويل الزراعي سواء على الفلاح أو على الأمة مجتمعة.

وبين ذلك بالإحصاءات والأرقام .

ثم طرح المخرج من هذه الحالقة ، ولم يطرحه نظريا بل دعمه بتجارب عملية طبقت في بلاد إسلامية أتت أكلها وأسعدت قومها ، فبدلا من القرض والربا اللذان يطاردان الفلاح حتى يلصق بالأرض حلت المشاركة في كل أصناف الزراعة من ري إلى سماد إلى حصاد إلى ثلاجات لحفظ الخضر والفاكهة وكانت النتيجة أن نهض الفلاح ودبت الحيوية في قدراته وربحت مؤسسة التمويل وزادت البركة حتى طالت من حولهم .

هذه الدراسة كما قلت ليست دراسة عاطفية أو خطابية وإنما هي دراسة إحصائية وعملية تقدم مشروع النهضة وتبين يسره في الفهم والتطبيق وتبين توافر إمكانيات تطبيقه بين ربوع الأمة المسلمة من ناحية الإمكانيات ومن ناحية الحوافز وهي بذلك صرخة نرجو أن يستجيب لها من يحب أمته ومن يتطلع إلى نهضتها ويسعد بعزتها .

﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٧٣ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ۝٧٤ ﴾ [المؤمنون: ٧٣، ٧٤]

يوسف كمال محمد

أستاذ الاقتصاد الإسلامي

بجامعة أم القرى بمكة المكرمة (سابقًا)

والأستاذ غير المتفرغ بالدراسات العليا

بجامعتي الإسكندرية وعين شمس

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يقول تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [النحل: ١٠-١١] .

إن الأمة الإسلامية حاليا تعيش واقعا من التخلف الاقتصادي بصفة عامة، والتخلف الزراعي بصفة خاصة، مما أدى إلى استنزاف خيراتها واعتمادها على غيرها في جزء كبير من غذائها، فما تنتجه لا يكفيها ، مما أدى إلى وجود فجوة غذائية كبيرة بين إنتاجها واستهلاكها، بفعل التخطيط الاستعماري الذي سعى جاهدا لتفاقم الأزمة، فأدخل نظام القروض البنكية بالفوائد المحرمة ، مما أوقع الأمة الإسلامية في شراك الديون والتبعية الاقتصادية والسياسية للبلاد التي تمدها بالقروض والغذاء وبخاصة المحاصيل الأساسية مثل القمح. وذلك بالرغم مما تتمتع به الأمة الإسلامية من مواقع جغرافية ممتازة، وأراضي شاسعة قابلة للزراعة، ووفرة في المياه، واعتدال في المناخ، وفائض في الأموال تعج به خزائن وبنوك الغرب، بالإضافة إلى وجود العنصر البشري القادر على الاستفادة القصوى من هذه الإمكانات والموارد الطبيعية والمادية، وذلك ابتداء من الأيدي العاملة الزراعية الماهرة وانتهاء بالعقول الفذة الباهرة في كافة التخصصات التي تحتاجها التنمية الزراعية.

ولقد حاولت الأمة الإسلامية النهوض من كبوتها واليقظة من غفلتها وإصلاح اقتصادها خصوصا في مجال التنمية الزراعية، وحاولت سد الفجوة الغذائية، ولكنها سلكت في سبيل الوصول إلى ذلك مسلك المناهج الوضعية، فنقلت تجارب من غير بيئتها، فانقطعت عن جذورها وثقافتها، وذلك مثل الرأسمالية والاشتراكية أو خليط بينهما، فكان حصاد الهشيم الذي تعاني منه الأمة الإسلامية في الوقت الحاضر،

obeikandi.com

وتفاقمت أزماتها الاقتصادية ولم تحقق التنمية الزراعية المرجوة، واستمر وجود الفجوة الغذائية حيث لا يكفي إنتاجها ما تحتاجه لاستهلاكها.

وزادت طامة الأمة بتورط كثير من أبنائها المزارعين والمشتغلين بالنشاط الزراعي وغيره في الاستدانة بالقروض الربوية والفوائد مما أوردهم المهالك وساهم في زيادة الفجوة الغذائية.

وبعد أن فشلت المناهج الوضعية في أن تحقق للأمة الإسلامية ما ترجوه من تنمية اقتصادية بصفة عامة، وتنمية زراعية بصفة خاصة، بدأت الأمة تعود لشرع الله عز وجل، الذي يشمل جميع الجوانب ومنها الجانب الاقتصادي، وحاولت تطبيق المنهج الإسلامي في جزء اقتصادي مهم، وهو الجزء المصرفي لكي تتخلص من التعامل بالفوائد الربوية التي ترتكز عليها معاملات البنوك التقليدية، وذلك عن طريق إنشاء المصارف الإسلامية، وهي مؤسسات إسلامية أنشئت لتطبيق المنهج الاقتصادي الإسلامي، وتهدف إلى تحقيق التنمية الاقتصادية في البلاد الإسلامية، ومنها التنمية الزراعية، ونصت على ذلك قوانين ولوائح إنشائها.

ولكن هذه التجربة قد واجهت الكثير من الصعاب والمشاكل في التطبيق العملي، مما نتج عنه وجود قصور وأخطاء وانتقادات لعدم قيامها بدورها المأمول في المساهمة في تحقيق التنمية الاقتصادية وبخاصة التنمية الزراعية.

ولقد تبينت لي المشكلة بوضوح من خلال خبرتي المصرفية الإسلامية العملية الكبيرة ، بالإضافة إلى دراساتي الأكاديمية وأبحاثي ومحاضراتي ومؤلفاتي المتخصصة في أمور وتجربة المصارف الإسلامية ، والتي بلغت حوالي ربع قرن حتى الآن ، أي منذ بدايات التجربة.

كما اتضح لي أنه ما زال الغالبية من المزارعين وأصحاب الأنشطة والصناعات الزراعية يرزحون تحت وطأة الفوائد الربوية التي تثقل كاهلهم وتعوق تقدمهم في طريق تحقيق التنمية الزراعية، ولم تقم المصارف الإسلامية بدورها المأمول لإنقاذهم ولتحقيق أحد أهدافها المهمة، وهو المساهمة الفعالة في تحقيق التنمية الزراعية، ووقعت المصارف

الإسلامية في هذه المشكلة؛ مما يستوجب ضرورة التفكير في حل هذه المشكلة لكي تقوم المصرفية الإسلامية بدورها المرجو منها في المساهمة في تحقيق التنمية الزراعية، مع التركيز على تقديم البديل الإسلامي لتمويل النشاط الزراعي بدلا من التمويل بالقروض البنكية بالفائدة المحرمة.

وترجع أهمية الكتاب إلى أنه يقدم حلا عمليا لمشكلة عدم قيام المصارف الإسلامية بدورها المنوط بها في المساهمة في تحقيق التنمية الزراعية، إلى جانب تحقيق العديد من المنافع والمصالح التي من أهمها ما يلي:

أ- إلقاء الضوء على المنهج الاقتصادي الإسلامي لتنمية الموارد الزراعية ليكون حجر الأساس لإنشاء المصارف الإسلامية الزراعية.

ب- بيان خطورة الفجوة الغذائية بالأمة الإسلامية.

جـ- توضيح أزمات ومآسي الزراع بالقروض الربوية.

د- تقويم تجربة المصارف الإسلامية في دعم وتمويل الأنشطة الزراعية للاستفادة من الإيجابيات ومحاولة تفادي وإصلاح السلبيات.

هـ- مساعدة المصارف الإسلامية في أن تنجح في تمويل النشاط الزراعي باتخاذ قرارات استثمارية سليمة من كافة الجوانب تحقق أهدافها مع التقليل من المخاطر.

كما يهدف الكتاب إلى تقديم نموذج عملي مقترح قابل للتطبيق لإنشاء مصرف إسلامي للاستثمار الزراعي، يتخصص في دعم وتمويل الاستثمارات الزراعية، ويهدف إلى المساهمة في تحقيق التنمية الزراعية في البلاد الإسلامية، ومن أهم صفات هذا النموذج ما يلي:

أ- الالتزام التام بأحكام الشريعة الإسلامية الغراء.

ب- الابتعاد التام عن التعامل بالمرابحة الآجلة والتي تسببت في انحراف تجربة المصارف الإسلامية الحالية عن الطريق السوي.

جـ- أن يشمل النموذج أهم الجوانب الفنية المصرفية التطبيقية المرتبطة بالتمويل

والاستثمار الزراعي، وذلك باستخدام صيغ وعقود الاستثمار الشرعية، والتركيز على المشاركات بديلا عن المرابحة الآجلة.

د- أن يكون هذا النموذج صالحًا للتطبيق في أي دولة من دول الأمة الإسلامية، بالإضافة إلى صلاحيته للاستفادة به في المصارف الإسلامية الحالية مما يساعدها في آداء دورها في دعم وتمويل القطاع الزراعي، ويخرجها من سجن المرابحة الآجلة إلى آفاق المشاركة الرحبة، بالإضافة إلى الصيغ الإسلامية الأخرى مثل المعاوضات.

وأسأل الرحمن جل وعلا أن يكون هذا الجهد المتواضع في الميزان ﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩ ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المؤلف

obeikandl.com